المنهج التفسيري عند سعيد بن جبير ((رضي الله عنه))

د. حيدر تقي العلّاق/ جامعة واسط / كلية التربية / قسم علوم القران

عن عمر بن ميمون عن أبيه و عن ابن مهران : مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه

سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٤

الغدير ٦٥/١

المنهج التفسيري عند سعيد بن جبير (رض)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد واله الطيبين الطاهرين ،وعلى أصحابه الراشدين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، وبعد.

فانه من البديهي القول بانّ علم التفسير يعدّ من اشرف العلوم الدينية لتعلقه بكتاب الله تبارك وتعالى آخذا أهميته منه فهو من اشرف الفنون وأرقاها فهو الذي من خلاله نفهم كلام الله تبارك وتعالى وما المراد منه، وقد وردت في هذا الشأن نصوص عديدة تؤكد على أهمية التفسير فقد روي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – انه قال ((الذي يقرأ القران ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ (١) الشعر هذا)) (٢)، وكذلك ما روي عن سعيد بن جبير –رضي الله عنه– انه قال ((من قرأ القران ولم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي)) (٣)، وما روي عن الإمام الصادق – عليه السلام– ((لو تدبر القران شيعتنا لما شكّوا في فضلنا))(٤) وما روي أيضا عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – انه قال مبينا اجر من انتهل من القران ((إن هذا القران مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القران حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه ....)) (٥).

وكذلك ما أخرجه ابن ماجة في سننه انه قال ((إن لله اهلين من الناس ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال هم أهل القران، أهل الله وخاصته))(٦) ، فالمفسرون لكتاب الله تبارك وتعالى هم أهل القران وهم أهل الله وخاصته الذين جعل الله لهم منزلة تفوق منزلة غيرهم ،لأنهم اعلم الناس بكتاب الله تبارك وتعالى وأدرى الناس به من خلال معرفة مراده من آياته من خلال تفسيرها والوقوف على معانيها.

وسنحاول في هذه الصفحات تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال تناول منهجية التابعي الجليل سعيد بن جبير– رضي الله عنه– الذي كان يمثل مدرسة للتفسير في عصره فقد كان تلميذا وملازما لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –حيث أخذ منه علم التفسير ، وما من شك أن من كان تلميذا لحبر الأمة وترجمان القران فلا بد أن يكون هو الآخر مصدرا مهما من مصادر التفسير .

تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة هو التوضيح والكشف والبيان ، يقال فسّر الرجل كلامه أي أبانه ووضحه ، جاء في كتاب العين ((التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسرا ، وفسره تفسيرا)) (٧) . وجاء في اللسان ((الفسر : البيان. فسر الشئ يفسره، بالكسر، وتفسره ، بالضم ، فسرا وفسّره: أبانه ، والتفسير مثله)) (٨). قال تبارك وتعالى ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)) (٩) ، والمعنى أي بما هو أحسن بيانا وفهما (١٠) . أما تعريفه اصطلاحا فهو العلم الذي من خلاله يكون فهم كتاب الله تبارك وتعالى . أو هو العلم الذي يبين مراد الله تعالى من آياته . أو هو الكشف عن معاني آيات القران الكريم . أو هو ((علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد – صلى الله عليه واله وسلم – وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)) (١١).

ومن خلال هذه التعريفات جميعها يتجسد لنا معنى التفسير وأهميته فهو يتعلق بكتاب الله تبارك وتعالى ويوضحه ويبينه ويستخرج أحكامه.

وقد تنوعت مدارس التفسير ابتداء برسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– الذي يعد المفسّر الأول في الإسلام ، قال تعالى ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (١٢) ثم مدرسة أهل البيت – عليهم السلام– فما اخذ عنهم فهو بحكم المأخوذ عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– . ثم مدرسة الصحابة ومن ثم مدرسة التابعين .

وفي هذا البحث سنتحدث عن منهجية التفسير عند التابعين من خلال بيان منهجية التفسير عند التابعي الجليل سعيد بن جبير – رضي الله عنه – والذي كان أستاذه في هذا المنهج هو عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– .

سعيد بن جبير :

وهو ((أبو عبد الله وهو ابن جبير بن هشام مولى بني والبة من بني بن خـــــزيمة)) (١٣). وهو من بني أسد استشهد على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمس وتسعين وكان عمره – رضـــي الله عنه – آنذاك تسعا وأربعين ســـــــــــنة (١٤) ، وكان أصله رحمه الله حبـــشيا فهـــو مـــن الموالي ، أخذ عن أئمة الصحابة وكانت بعض رواياته عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشـــعري وعبد الله بن عمر ، وكان أكثرها عن عبد الله بن عباس (١٥).

منهجه في تفسيره:

كان المؤسس الأول لمدرسة التفسير في مكة هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس– رضي الله عنهما – فهو الذي دعا له رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– بقوله ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))(١٦) ، فكان رضي الله عنهما يوضّح ويفسّر لهم ما أشكل عليهم فهمه ، وكان من أعلام هذه المدرسة كلا من مجاهد وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن أبي رباح فضلا عن سعيد بن جبير (١٧).

وكان سعيد بن جبير متقدما على هؤلاء في تفسير القران الكريم فقد فاقهم نقلا عن ابن عبـــاس ،حتـــى قيل فيه ((مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمـــه)) (١٨) .ولـــم يكتف بأخذ التفسير عنه – رضي الله عنه – وإنما اخذ عنه أيضا علم القراءات (١٩).فكان رحمـــه الله عالما بالتفسير والقراءات والفقه والحديث ، ولعلّ علمه بالتفسير غلب عليه وما ذلك إلا لتعلقـــه بكتـــاب الله تعالى ، وأدرك ذلك عبد الله بن عباس مما جعله يرشد الناس إليه والى علمه فقـــد ذكـــر الـــشيخ الطوسي بان ابن عباس كان إذا جاءه أهل الكوفة يستفتونه يقول لهم ((أليس فيكم ابن أم الدهماء *؟)) (٢٠) وكان يقصد سعيد بن جبير ، وكان –رضي الله عنه– يحب أن يسمع التفسير من سعيد فقال لـــه مرة ((حدّث، فقال : احدّث ، وأنت هنا ؟ فقال : أليس من نعمة الله أن تحدّث ، وأنا شاهد، فان أصبت فذاك ، وان أخطأت علّمتك))(٢١)

وقد انتهج سعيد بن جبير رحمه الله منهج التفسير بالمأثور في تفسيره للقران الكريم وابتعد كل الابتعـــاد عن منهج الرأي فلم يفسّر به ، وهذا ما يظهر من خلال تفسيره فهو رحمه الله لا يفسر آية إلا وينقـــل تفسيرها عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– وكان يضم إلى هذا المنهج منهج التفسير الذي يعتمد على الاستنباط والاجتهاد القائم على استعمال العقل فيمـــا إذا لم يكن هناك نقل عن الصحابة . وممّا يدل على انه رحمه الله كان بعيدا كل البعد عن التفـــسير الـــذي يعتمد الاستحسان والهوى أو التفسير بالرأي وانه كان متحفظا ولا يقول في القران برأيه هو أن رجـــلا سأله أن يكتب له تفسيرا للقران ، فغضب سعيد – رضي الله عنه– وقال ((لأن يسقط شقّي أحب إلـــي

من ذلـــــــــك)) (٢٢)، فهو كان يتحرج في التفسير فلم يفسر آية إلا من خلال حديث أو نص فـــان لم يجد فاللغة حينها تعدّ مصدرا من مصادر تفسيره ، ومن اجل ذلك فقد نبغ في التفسير حتى قال فيـــه قتادة ((وكان اعلم الناس أربعة ، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك ، وكان سعيد بـــن جبيـــر أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن أعلمهـــم بـــالحلال والحـــرام)) (٢٣)، وقال سفيان الثوري ((خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمـــة والـــضحاك)) (٢٤).

وقد اتسم منهج سعيد بن جبير في التفسير بجانبين اثنين:

الجانب الأول : هو نقل التفسير عن الصحابة عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– وكان أكثـــر من نقل عنه سعيد بن جبير هو عبد الله بن عباس وعدي بن حاتم . وكان التفسير في هذه المرحلـــة لا يعدو كونه نقلا عنهم عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– وكان سعيد بن جبير أمينا في النقـــل عنهم وكان ثقة بإجماع المسلمين (٢٥)، فقد نص على استقامته السيد الخوئي قائلا ((إن ســـعيد بـــن جبير كان يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام، وكان علي عليه السلام يثني عليه ، وما كان ســـبب قتـــل الحجّاج له إلا على هذا الأمر وكان مستقيما)) (٢٦)

الجانب الثاني :هو تفسيره الشخصي حيث من المعلوم أن ما نقل عن رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – لم يكن ليشمل كل آيات القران الكريم وإنما كان التفسير منحصرا بما غمض فهمـــه وصـــعب تصور معناه ، وبمرور الوقت ازدادت حاجة الناس إلى التفسير لدخول كثير من الأمم إلـــى الإســـلام ولضياع لغة القران ، ومن هنا اخذ التابعون وعلى رأسهم سعيد بن جبير – رحمه الله تعالى – علـــى عاتقه بيان ما خفي فهمه على المسلمين مما لم يرد به نص يفسره ، من خلال الاعتماد على المـــنهج اللغوي والذي يعد احد المناهج المهمة في التفسير فيما لم يرد بتفسيره قران أو سنّة (٢٧) ، ولم يكـــن هذا منهج سعيد بن جبير – رحمه الله – فحسب ، بل سبقه في ذلك أستاذه عبد الله بن عباس– رضـــي الله عنهما – الذي اعتمد منهج اللغة في التفسير قبل غيره في بيانه لبعض الألفاظ والعبارات التي لـــم يأت نص بتفسيرها فعبد الله بن عباس هو ((أول من اعتمد المنهج اللغوي في تفسيره بعدد من آيـــات القران الكريم ، وقد سأله نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر تفسير عدد من الآيات الكريمة ، واشـــترطا أن يأتيهما بما يؤيد ذلك من كلام العرب ، ففسّر ذلك على شرطهما)) (٢٨).

أما بالنسبة للمنهج الأثري فقد اعتمد سعيد بن جبير رحمه الله طريقين :

الطريق الأول رفع التفسير إلى الصحابي ثم إلى رسول الله– صلى الله عليه واله وسلم –ومثال ذلـــك ما رواه سعيد بن جبير– رضي الله عنه– عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– ،قال : لمّا نزلت ((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (٢٩) ((قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنـــا

الله بمودتهم؟ قال : علي وفاطمة وولدهما))(٣٠). وأيضا ما رواه سعيد بن جبير– رضي الله عنه– عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى ((إنا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)) (٣١) قال ((الكوثر الخير الذي أعطاه إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنّة قال : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه)) (٣٢). ومن الأمثلة أيضا على هذا الجانب هو ما رواه سعيد بن جبير – رضي الله عنه– عن عبد الله بن عباس– رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى ((وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) (٣٣) قال ((لمّا أمر الله عزّ وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قال يا أيها الناس إن ربكم اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شئ، فقالوا لبيك اللهم لبيك)) (٣٤)

وأيضا ما رواه سعيد بن جبير – رضي الله عنه– عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (٣٥) قال ((القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك)) (٣٦) ، وفي تفسير قوله تعالى ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)) (٣٧) روى سعيد بن جبير – رضي الله عنه – عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما أن المقصود من هذه الآية هو علم الله تبارك وتعالى (٣٨).

أما النوع الثاني فهو التفسير الذي لم يرفعه سعيد بن جبير – رضي الله عنه – إلى عبد الله بن عباس أو احد من الصحابة ، ومن أمثلة ذلك ما قاله سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى ((شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (٣٩) قال ((كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب الواحد والاثنان فلما نزلت هذه الآية خرّت الأصنام في الكعبة سجّدا)) (٤٠). وفي تفسير قوله تعالى ((فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)) (٤١) قال سعيد بن جبير ((اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي)) (٤٢) ، وفي تفسير قوله تعالى ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ)) (٤٣) قال : الطاغوت هو الكاهن (٤٤) ، كما أن سعيد بن جبير فسّر قول الله تعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)) (٤٥) بقوله ((يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت وهي من المبشرات)) (٤٦) . وفي تفسير قوله تعالى ((تَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ)) (٤٧)قال سعيد بن جبير ((يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحانك وبحمدك))(٤٨) . وفسّر سعيد بن جبير – رضي الله عنه – قوله تعالى ((سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ)) (٤٩) بأنه اسم من أسماء نبينا محمد – صلى الله عليه واله وسلّم – واستدل بقوله تعالى (((تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)) (٥٠).فمن خلال هذه النماذج من التفسير يتضح لنا بان سعيد بن جبير كان يمثل بحد ذاته مدرسة من مدارس التابعين وذلك من خلال منهجه في التفسير الذي غالبا ما

كان يعتمد الأثر القرآني أو النبوي من خلال نقله واعتماده على أحاديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنه .

ولم يقتصر تفسير سعيد بن جبير – رضي الله عنه – على نقل آراء شيخه عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – وإنما تجاوز ذلك إلى مخالفة بعض ما نقل عنه

فقد خالف سعيد بن جبير أستاذه عبد الله بن عباس في بعض الموارد منها ما جاء في تفسير قوله تعالى ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) (٥١) فقد ذهب ابن عباس – رضي الله عنهما – إلى أن المقصود بالعاكفين المصلّين ، فيما ذهب سعيد بن جبير – رضي الله عنه– وقتادة إلى أنهم أهل البيت الحرام (٥٢) ، وكذلك في الآية السابعة من سورة الطارق وهي قوله تعالى ((يخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)) حيث فسّر ابن عباس – رضي الله عنهما – الترائب بأنه موضع القلادة ، فيما فسرها ابن جبير – رحمه الله بأنها جيد المرأة (٥٣) ، وكذلك خالف سعيد بن جبير – رضي الله عنه – ابن عباس – رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ((وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)) (٥٤) فقد ذهب ابن عباس في إحدى روايتيه بان معنى سجى ذهب ، فيما فسرها ابن جبير بمعنى أقبل (٥٥)، واني أعزو التباين بين تفسير ابن عباس وتفسير سعيد ابن جبير (رضي الله عنهم) إلى اتساع مجال التفسير وعدم اعتماده على الأثر بقدر اعتماده على اللغة من جانب ، وعلى الاجتهاد والاستنباط العقلي من جانب اخر ، فالمشتركات اللفظية في القران الكريم كثيرة ، ويكون تفضيل وترجيح احدها على الآخر مبني على الاستنباط العقلي والاجتهاد المستند الى المقومات الصحيحة للتفسير ، وهذا هو سر القران الكريم الذي احتوى من معاني البلاغة الشئ الكثير والذي فتح من خلاله مجال البحث والتفسير وعدم الانغلاق على تفسير في زمن سابق لان التفسير في حقيقته متجدد تبعا للتطور الحاصل في هذه الحياة ، فسعيد ابن جبير– رضي الله عنه – يجتهد في ما لم يكن التفسير فيه اثريا وقطعيا كأن يكون تفسيرا للقران بالقران أو تفسيرا بالسنّة النبوية الشريفة ، فليس له حينها إلا متابعة التفسير والالتزام به ، وهذا هو عين ما فعله ابن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه– حيث فسّر الحروف المقطّعة مثلا تفسيرا نقله عنه سعيد بن جبير لم يكن ليستند إلا على الاجتهاد المبني على الاستنباط العقلي، وهذا هو المشروع مع عدم مشروعية القطع بصحته فالقطع بصحته في هذه الحال من الأمور المذمومة كما نص على ذلك المفسرون باعتبار أن هذه الأحرف هي من المتشابه وهذا هو التأويل . وإذا كان التفسير هو القطع بمراد الله تعالى مثلا ، فان التأويل هو عدم القطع بالمراد لأنه يكون حينها منحصرا بالآيات المتشابهة ، فمثلا فسّر ابن عباس قوله تعالى ((كهيعص)) (٥٦) بقوله ((الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق)) (٥٧) ،وهذا هو الذي نعنيه فهو تفسير لا قطعي والدليل على عدم قطعيته هو الرأي الثاني فيه حيث نقل الحاكم عن سعيد بن

جبير – رضي الله عنه– عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن معنى ((كهيعص)) هو ((كاف هاد أمين عزيز صادق)) (٥٨)، وفي رواية ثانية جاء لفظ ((كبير)) بدل ((كاف)) (٥٩)، فهذه التفاسير يكون غالبها اجتهاديا ، والفرق بين هذا اللون من التفسير وبين التفسير بالرأي المذموم هو أن التفسير بالرأي يعتمد الاستحسان دون دليل نقلي أو عقلي ، وسعيد ابن جبير – رضي الله عنه – ابعد ما يكون عن مثل هذا اللون من التفسير.

ولم يكتف سعيد – رضي الله عنه – ببيان التفسير وإنما كان يشير في بعض الأحيان إلى سبب النزول من حيث إن سبب النزول له أهمية كبيرة في تجسيد المعنى وايضاحه ، منه ما ذكره دون أن ينسبه إلى ابن عباس – رضي الله عنه– كما في قوله تعالى ((وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (٦٠) حيث اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير – رضي الله عنه– ((أن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن اشوع الحضرمي اختصما في ارض ، وأراد امرؤ القيس أن يحلف فنزلت (ولا تأكلوا أموالكم الآية)) (٦١).

فهذا قول مرسل ، والمقصود من المرسل هو ما رفع منه الصحابي باعتبار أن بين التابعي وبين رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– الصحابي فهو يعد من مراسيل سعيد بن جبير، ومن مراسيله أيضا ما أخرجه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير – رضي الله عنه – انه قال ((قال رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– لا تصدقوا إلا على أهل دينكم فانزل الله تعالى (ليس عليك هداهم) أي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام))(٦٢) ، وما أرسله سعيد بن جبير أيضا في أسباب النزول هو في تفسير قوله تعالى ((وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً)) (٦٣) حيث ذكر سعيد بن جبير بان هذه الآية نزلت حينما كان رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – يستلم الحجر الأسود إذ منعته قريش إلا بعد أن يمدح ويمس آلهتهم (٦٤) فحدّث رسول الله نفسه وقال ((ما عليّ أن الم بها والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعونني استلم الحجر)) (٦٥) فانزل الله تعالى الآية . وأيضا ما جاء عنه – رضي الله عنه – في سبب نزول قوله تعالى ((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)) (٦٦) حيث روى أن رجلا أنصاريا جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – وقد أصابه الحزن ، فسأله رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – عن سبب حزنه فقال ((يا نبي الله نحن نغدو عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبي – صلى الله عليه واله وسلم – فأتاه جبرائيل بهذه الآية فبعث إليه النبي – صلى الله عليه واله وسلم – يبشره)) (٦٧) أما ما وافق فيه سعيد بن جبير عبد الله بن عباس – رضي الله عنهم – في أسباب النزول فكثير ومن أمثلته ما جاء في سبب نزول قوله تعالى ((وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)) (٦٨) وقوله ((إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)) (٦٩) حيث انطلق من كان في بيته يتيم فعزل طعامه وشرابه وملبسه عن طعامه وشرابه وملبسه ، وكان اذا فضل من طعام اليتيم شئ حبسوه حتى يأكله اليتيم أو يفسد ، فشقّ عليهم الأمر فشكوه إلى رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم– فنزلت لأجله الآية (٧٠) ، وأما ما نقله سعيد بن جبير – رضي الله عنه عن ابن عباس – رضي الله عنهما– في أسباب النزول فهو ما جاء في بيان سبب نزول قوله تعالى (((الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ)) (٧١) حيث روى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – ((أن النبي صلى الله عليه واله وسلم – دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود ، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم : على أي دين أنت ؟ فقال : على ملة إبراهيم . قالا فانه كان يهوديا . قال : فهلموا إلى التوراة ، فأبيا عليه ، فنزلت هذه الآية)) (٧٢).

من هذا نخلص إلى أن لسعيد بن جبير دورا في التفسير ، حيث يكاد لا يخلو كتاب في التفسير عن النقل عنه أو ذكر اسمه سواء فيما يتعلق بالتفسير أو بأسباب النزول ، ومن خلال ما تقدم ثبت لنا بان سعيد ابن جبير – رضي الله عنه– قد وافق ابن عباس – رضي الله عنهما – في أكثر جوانب التفسير ، وخالفه في جوانب أخرى ، أما عن سبب المخالفة فهو في نظري يعزى لأمور ثلاثة :

الأول : أن لا يكون النقل دقيقا أو صحيحا عن سعيد ابن جبير – رضي الله عنه – أو ربما عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – فقد يكذب على احدهما ، وإذا كان أناس قد كذبوا على رسول الله– صلى الله عليه واله وسلم – فمن باب أولى أن يكذب على الصحابة أو التابعين بان ينسب إليهم ما ليس من أقوالهم.

الثاني : أن الجوانب الخلافية في التفسير بين سعيد بن جبير – رضي الله عنه– وعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما لم يكن ليستند على اثر من قران أو سنّة وإنما كان تفسيرا يعتمد على الاجتهاد والاستنباط .ومعنى هذا هو أن عدم المطابقة والمخالفة تعدّ أمرا طبيعيا لأن نتاج الفكر الإنساني يختلف من إنسان لآخر فلكل استنباطه واجتهاده.

أما ما انفرد فيه سعيد بن جبير – رضي الله عنه– فيعزى في نظري إلى

أن الحاجة إلى بيان جميع الألفاظ وتفسيرها في عهد عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – لم تكن موجودة وذلك لمعرفة الناس بها وعدم احتياجهم إليها ، على العكس من زمن التابعين حيث اشتدت الحاجة إلى علم التفسير بشكل أكثر إلحاحا ، وذلك لضياع لغة القران وضياع مفاهيمه ، فضلا عن ذلك فان ابن عباس نفسه كان يتوقف عن الإجابة أحيانا ، من ذلك ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير – رضي الله عنه– انه سئل عن قوله تعالى ((وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا)) (٧٣) فقال ((سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا)) (٧٤) ، وممّا نقل عنه – اعني عن ابن عباس – رضي الله

عنهما قوله ((كل القران اعلمه إلا أربعا : غسلين ، وحنان ، والأواه ، والرقيم)) (٧٥)، على الرغم من انه قد نقل عنه في تفسيرها بان الحنان هو الرحمة والعطف (٧٥) ومعنى الآية ورحمة من عندنا (٧٦) ، وهذا التحفظ من ابن عباس – رضي الله عنهما – انعكس ايجابيا على تفسير سعيد بن جبير – رضي الله عنه – من حيث إن سعيدا لم يتناول كل آيات القران ، وما ذلك إلا لتحفظه في التفسير وانه لا يمكن أن يفسر بدون دليل أو مستند اثري كان أم لغوي .لان التفسير الذي لا يستند على المقومات الصحيحة له هو وكما تقدم تفسير مذموم كما قال رسول الله – صلى الله عليه والـــــــــــه وسلم – ((من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)) (٧٧) ، وعلى هذا فلم يكن التابعي الجليل سعيد بن جبير – رضي الله عنه– من المتقولين في كتاب الله بما لا يعلم وإنما كان يعتمد القران والسنة التي كان كثيرا ما يأخذها عن حبر الأمة وترجمان القران في تفسيره لآيات الكتاب المجيد

الخاتمة :

- اعتمد سعيد بن جبير – رضي الله عنه – منهج الأثر في التفسير وكان بعيدا كل البعد عن منهج الرأي .
- استعان رضي الله عنه باللغة في بعض الموارد بصفتها مصـــــــــــدرا من مصادر التفسير يضاف إلى المصدر الأثري.
- لم يهمل سعيد بن جبير منهج العقل ، فكان مجتهدا ومستنبطا في الوقت ذاته.
- وافق سعيد بن جبير – رضي الله عنه – عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في اغلب جوانب التفسير إلا تلك الجوانب التي كانت تعتمد العقل ، فوافقه في المأثور ونقله عنه ، حتى يكاد يكون أكثر ما نقل عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – هو عن سعيد بن جبير– رضي الله عنه .
- خالف سعيد بن جبير في موارد قليلة أستاذه ابن عباس – رضي الله عنهما وهذا يعود إما إلى المنهج الذي اعتمده عبد الله بن عباس بان يكون منهجا مرنا وقابلا للتجديد من حيث اعتماده على الاجتهاد والاستنباط أو يعزى ذلك إلى خلل في إحدى الروايتين .
- لم يكتف سعيد بن جبير ببيان معاني الألفاظ وإنما تعداها إلى بيان أسباب النزول كما فعل أستاذه وشيخه عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما ، وما قيل في أسباب الاختلاف بين تفسير سعيد بن جبير – رضي الله عنه– وعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – يقال هنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الامين وعلى آله الطيبـــين الطاهرين وأصحابه الراشدين .

الهوامش

١- بمعنى يسرده ، يقول ابن منظور ((هذذ : الهذ والهذذ :سرعة القطع وسرعة القراءة، هذ القران يهذه هذا . يقال : هو يهذ القران هذا ، و يهذ الحديث هذا أي يسرده)) . لسان العرب ٣ / ٥١٧

٢- المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق / ٢٦

٣- المصدر نفسه/ ٢٦ وينظر التبيان في تفسير القران ١٧/١

٤- بحار الانوار ٦٢٨/٣١

٥- جامع أحاديث الشيعة ١/ ١٠٨ والمستدرك ١ / ٥٥٥

٦- ١ / ٧٨

٧- الخليل الفراهيدي ٧ / ٢٤٧ مادّة (فسر)

٨- لسان العرب ٥ / ٥٥ مادّة (فسر)

٩- الفرقان / ٣٣

١٠- ينظر تفسير شبر / ٣٥٠

١١- التفسير والمفسرون / ١٣ وينظر أصول التفسير وقواعده / ٢٧

١٢- النحل / ٤٤

١٣- الجرح والتعديل ٤ / ٩

١٤- ينظر مشاهير علماء الأمصار / ١٣٣

١٥- ينظر التفسير والمفسرون / ٩٣

١٦- بحار الأنوار ٩٢/٦٦ و المستدرك ٣/ ٥٣٤

١٧- ينظر التفسير والمفسرون / ٩٤

١٨- البداية والنهاية ٩/ ١١٦

١٩- ينظر التفسير والمفسرون /٩٤

٢٠- الاحتجاج ١/ ٣٥٥ وينظر تفسير الثعالبي ١/ ٦٢ وينظر أيضا تهذيب التهذيب ١١/٤

(*) الدهماء هو مؤنث الدهم وهو الأسود . ينظر لسان العرب ٢١٠/١٢ فصل الدال المهملة.

٢١- تفسير الثعالبي ٦٢/١

٢٢- المصدر نفسه ٦٣/١

٢٣- المصدر نفسه ٦٣/١

٢٤- تفسير الثوري/ ١٤ ، والإتقان في علوم القران ٤٩٩/٢

٢٥- ينظر المفيد من معجم رجال الحديث / ٢٥٠
٢٦- معجم رجال الحديث ١١٩/٩ وقد ذكره ابن حبان في الثقات ٦/ ٧٤
٢٧- ينظر التفسير والمفسرون ٧٦
٢٨- المبادئ العامة لتفسير القران الكريم / ١٠٥
٢٩- الشورى / ٢٣
٣٠- مجمع البيان ٤٨/٩
٣١- الكوثر / ١
٣٢- تفسير الميزان ٣٧١/٢٠
٣٣- الحج / ٢٧
٣٤- تفسير مجاهد ٢/ ٤٢٢
٣٥- البقرة / ١٢٧
٣٦- تفسير القران للصنعاني ١/ ٥٨
٣٧- البقرة / ٢٥٥
٣٨- ينظر جامع البيان ٣/ ١٥
٣٩- ال عمران / ١٨
٤٠- تفسير العياشي ١/ ١٦٦
٤١- البقرة / ١٥٢
٤٢- جامع البيان / ٥١/٢
٤٣- البقرة / ٢٥٦
٤٤- ينظر جامع البيان ٣/ ٢٨
٤٥- المؤمنون / ٦٠
٤٦- جامع البيان ٤٣/١٨
٤٧- القمر / ٦
٤٨- تفسير الرازي ٢٢٧/٢٠
٤٩- الصافات / ١٣٠
٥٠- البقرة / ٢٥٢
٥١- البقرة / ١٢٥
٥٢- ينظر التبيان-الطوسي ١/ ٤٥٥
٥٣- ينظر تفسير القرطبي ٥/٢٠
٥٤- الضحى / ٢
٥٥- ينظر تفسير القرطبي ٩٢/٢٠
٥٦- مريم / ١
٥٧- الإتقان في علوم القران ٢ / ٢١
٥٨- المصدر نفسه ٢١/٢

٥٩- المصدر نفسه ٢/٢١
٦٠- البقرة / ١٨٨
٦١- فتح القدير ١/ ١٨٨
٦٢- تفسير الآلوسي ٣/٤٥
٦٣- الإسراء / ٧٣
٦٤- ينظر تفسير الثعالبي ٦/١١٧
٦٥- المصدر نفسه ٦/١١٧
٦٦- النساء / ٦٩
٦٧- أحكام القران ١/٥٨٠
٦٨- البقرة / ١٥٢
٦٩- النساء / ١٠
٧٠- ينظر زاد المسير ١/ ٢٢٠
٧١- آل عمران / ٢٣
٧٢- زاد المسير ١ / ٣١٢
٧٣- مريم / ١٣
٧٤- الإتقان ١/ ٣٠٤
٧٥- ينظر مجمع البيان ٦ / ٤٠٨
٧٦- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات / ٤٥٨
٧٧- جامع البيان ١٦/٧٠
٧٨- مسند الإمام احمد ١ / ٢٣٣ وبحار الأنوار ٣/٢٢٣

المصادر:

أولا : القرآن الكريم

ثانيا:

- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطي الشافعي – تحقيق سعيد المندوب – الطبعة الأولى ١٤١٦هج –١٩٩٦م–دار الفكر بيروت– لبنان.
- الاحتجاج – أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي– مع تعليقات وملاحظات محمد باقر الخرسان– منشورات النعمان – النجف الاشرف ١٣٨٦هج–١٩٦٦م.
- أحكام القران –أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي– راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا– دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت– لبنان.
- أصول التفسير وقواعده – بحوث في العلوم القرآنية –الشيخ خالد عبد الرحمن العك – دار النفائس –بيروت– لبنان– الطبعة الثانية ١٤٠٦هج–١٩٨٦م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – محمد باقر المجلسي– مؤسسة الوفاء– بيروت – لبنان– الطبعة الثانية ١٤٠٣ هج– ١٩٨٣م .
- البداية والنهاية –أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي– حقّقه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري – دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هج– ١٩٨٨م .
- التبيان في تفسير القران – أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي – نشر مكتب الإعلام الإسلامي – دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان – الطبعة الأولى .
- تفسير سفيان الثوري –أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري – مراجعة وضبط لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هج – ١٩٨٣م.
- تفسير العياشي–أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي – تصحيح وتحقيق وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي – طبع ونشر المكتبة العلمية الإسلامية .
- تفسير القران – عبد الرزاق بن همام الصنعاني –مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية –تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد– الطبعة الأولى – ١٤١٠هج– ١٩٨٩م .
- التفسير الكبير – أو تفسير الفخر الرازي ومفاتح الغيب– محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت– لبنان– الطبعة الثالثة.
- تفسير مجاهد– أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي – تقديم وتحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي – مجمع البحوث الإسلامية – إسلام آباد– باكستان .
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات – شرح شواهد الكشاف – محب الدين افندي –مكتبة ومطبعة مصطفى البابا الحلبي وأولاده.
- تهذيب التهذيب– شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني –دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –الطبعة الأولى ١٤٠٤ هج – ١٩٨٤ م.
- الثقات– محمد بن حبان بن احمد أبي حاتم التميمي البستي – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد ١٣٩٣ هج – ١٩٧٣م.
- جامع أحاديث الشيعة – الحاج اقا حسين الطباطبائي –طبع في المطبعة العلمية – قم –إيران – ١٣٩٩ هج.

- الجامع لأحكام القران – أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان– ١٤٠٥ هج – ١٩٨٥م.
- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني– أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي – إدارة الطباعة المنيرية – دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان.
- زاد المسير في علم التفسير – أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي – حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله – خرّج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٠٧هج–١٩٨٧م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني– مطبعة عالم الكتب .
- لسان العرب– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري – نشر وتوزيع أدب الحوزة– قم – إيران ١٤٠٥ هج .
- المبادئ العامّة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – الدكتور محمد حسين علي الصغير – دار المؤرخ العربي – بيروت – لبنان–الطبعة الأولى –١٤٢٠هج – ٢٠٠٠م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن – أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي– حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين – قدّم له السيد محسن الأمين العاملي – نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت– لبنان– الطبعة الأولى ١٤١٥ هج – ١٩٩٥م.
- المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي – أشراف يوسف عبد الله المرعشلي – طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة – دار المعرفة – بيروت– لبنان– .
- مسند الإمام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – دار صادر – بيروت– لبنان.
- مشاهير علماء الأمصار و أعلام فقهاء الأقطار – أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي – حققه ووثقه وعلّق عليه مرزوق علي إبراهيم – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة– الطبعة الأولى ١٤١١هج– ١٩٩١م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف – وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث القاهرة – مصر – الطبعة الأولى ١٤١٧ هج – ١٩٩٦م.
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة – أبو القاسم الموسوي الخوئي– الطبعة الخامسة ١٤١٣ هج– ١٩٩٢ م.
- المفيد من معجم رجال الحديث – محمد الجواهري – منشورات مكتبة المحلاتي – قم– إيران – المطبعة العلمية – الطبعة الثانية ١٤٢٤ هج.
- الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي – منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية –قم – إيران.